

يقظة.. في اللحظة الأخيرة !

الكاتب : خالد روشه

التاريخ : 20 أغسطس 2014 م

المشاهدات : 5459



الراحلون من حولك يكثر، كل يوم صديق يرحل، جار يرحل، قريب يرحل، كلهم كان الأمر بالنسبة لهم غير متوقع ولا معدّ له، وكثير منهم كان يرتب لحياة طويلة، بعضهم كان يكتب عقد شراء عقار، وآخر كان يعد لحفل زفاف، وآخر كان يعد لقضية نزاع على مال موروث، وغيره كان قد اشترى ثوباً جديداً ليلة رحيله!

كثيرون غفلوا عن تلك اللحظة، وتركوا قلوبهم تغفل معهم مشغولة بمدارات الحياة ناسية لحظة الحساب.

فمتى تتعلم ياقلب مما مرّ بكل هؤلاء المحيطين بك الراحلين عنك؟ ومتى تهتم؟ ومتى تمنع في التفكير في لحظة اللقاء وما بعدها؟

أيها القلب إياك أن تغترّ بأيام قضيتها مع الصالحين، فإن مناط الحساب متعلق بك وحدك، قال سبحانه: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)..

أيها القلب لا يغترّك أنك قد قضيت سنين تتحدث عن أعمال الخير، إنّ الذي يصعد من كلامك هو الطيب (إليه يصعد الكلم الطيب)، وطيب الكلام هو ما كان مخلصاً، فلتفرح على ما كان منه، ولتصرخ على ماشابتك فيه النية، لتسعد بخطوات سعيها ابتغاء وجه ربك، ولتخسأ بما كان في مراعاة الناس.

إنّ مقامك الحقيقي - أيها القلب - يمكنك أن تعرفه في لحظات البكاء في جوف الليل الآخر، وفي التضحيات الكبيرة عندما يناديك العطاء، أو تنتظر أن تعرفه عند حشجة الروح إذ هي تخرج من الحلقوم.

إنّ صرخة (رب ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت) حريٌّ بها أن تقضّ مضجعنا، وتؤرق منامنا، ولا تجعلنا نستلذّ بطعام ولا شراب، ولا حياة ولا متاع، فهل آن لنا أن نتوقّى تلك الصرخة، وهل آن لنا أن نبادر إلى إصلاح ما فات قبل أن نصرخ فلا عود، ونسترجع الفوت،؟ ولا ثمّ إلا الصراخ؟!..

إنّ من عظمة الوحي الإسلامي أنه لا يُحمّل أحداً تبعه خطيئة أحد، ولا يبتدئ مع أحد على أنه مذنب، بل الأصل براءة الذمة، والأصل نقاوة التاريخ، والتوبة تجبّ ما قبلها، و" الحسنات يُذهبن السيئات"، "ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً"..

إنه لا سبيل أيها القلب إلا بالمسارعة إلى التطهير الكامل من آثار تاريخ الذنب ولنبدأ بعملية الحرق، وأقصد به الندم، فإنّ الندم الصادق نار ملتهبة تحرق الذنب، وفي الحديث: (الندم توبة) رواه أحمد..

فاحرق إذن كل ما لا ترجي أن تلقاه إذا أنت رحلت، ثم لتتألم قليلاً وأنت تجبر نفسك على كراهية الخطيئة، فلا توبة كاملة مع استئثار حلاوة الذنب، فإن استطعت أن تكرهه فأنت أنت، ولئن بقيت حلاوته فيك فلا تأمن على نفسك أن تراجع يوماً، ثم لتضع نفسك في متقلب العباد، وأله بها نفسك، وأشغلها بين العلم والطاعة والذكر، وإياك أن تفرغها فتشغلك بذكر ذنب جديد..

تلك كانت همسات قلبٍ محب، فاضت فاغروقت بها عين القلب، فأدمنت نصحاً لمن تحب.

المسلم

المصادر: